قبيلةٌ من صخورٍ وأسلاف

كيف انتصبتَ وأعطيتَ الجلالَ مدَى؟

وقد حملتَ على أكتافِكَ الأَبَدَا !

كأنّمَا هذهِ الأحجارُ أزمنةٌ

رُصّتْ على بعضِها حتى اسْتَوَتْ جسدا

نَعُدُّها حينما نرقَى مدارجَها

وننثني دون أنْ نُحصي لها عددا

وما بَحَثْنَا عن الأسلافِ في حجرٍ

إلا صحا زمنٌ يحكي بما شَهِدَا

غابَ الجدودُ وما غابتْ حقيقتُهُمْ

فلم يزلْ صَوتُهُمْ بالصّخرِ مُتّحِدَا

فيا رهينَ الليالي في سكينتِهِ

يـــعـــيـــشُ كـــالـــنّـــاسِ إنْ سَـــعْـــدًا وإنْ نَـــكَـــدَا

قـــبـــيـــلـــةٌ مـــــن صـــخـــورٍ أنـــــتَ، أمْ بَـــشَـــرٍ

تَـــوَطّـــنـــوا هـــــذهِ الآكـــــامَ والـــنّـــجُـــدَا؟!

يـــــا مَـــــنْ يُـــسَـــمّـــِرُ فـــي الـــعـــلـــياءِ نـــاظـــرَهُ

كـــــأنّـــــهُ يـــتـــهـــجّـــى الأنـــجـــمَ الـــرّصَـــدا

كـــأنّـــهُ مـــــن أعـــالـــيـــهِ يُـــطِـــلّ عـــلـــى

نـــبـــوءةٍ، يـــجـــتـــلـــي فـــيـــهـــا الـــمـــصـــيـــرَ غَـــــدَا

كـــيـــف انـــتـــصـــبتَ؟! ومـــــن أهـــــداكَ هـــيـــبـــتَـــهُ

كـــــي تـــكـــتـــسي جـــبـــروتًـــا مـــطـــلـــقًـــا صـــمـــدا؟!

هـــــل مَـــسّـــكَ الـــجِـــنّ؟! أمْ ألـــقـــتْ مـــلائـــكـــةٌ

عـــلـــيـــكَ مـــــا أُوتِـــيـــتَـــتْ مـــــن ربّـــِـــهـــا مَـــــدَدَا؟!

وأنـــــتَ.. هـــــل تـــنـــتـــمي لـــــلأرضِ مُـــنـــغَـــرِسًـــا

فـــيـــهـــا، تُـــجَـــسّـــِدُ مـــــن أوتـــــادِهـــا وَتَـــــدا؟!

أمْ تنتمي للأعالي حَدَّ أنْ رفعتْ

بِكَ السماواتُ، من عمدانِها عَمَدا؟!

أمْ أنتَ في حيرةٍ صَمَّاءَ بينَهما؟

ضَيَّعتَ ذاتكَ في رحب الفضاءِ سُدى!

مسافرٌ في تضاريسِ الشرودِ إلى

لا أينَ، تضربُ في الآفاقِ مُجتَهِدا!

مُشَرَّدٌ مثلما الإنسانِ؛ مُلتَبِسٌ

في الانتماء، ولم تَمْسَسْكَ نارُ هُدى

أُصغي إلى صَمتِكَ الدهريِّ يهمسُ لي

مَنْ لم يجدْ ذَاتَهُ فيهِ فلن يَجِدَا!

يا مَنْ يُرَبِّي قُرانا في صلابتِهِ

نَهْجًا عليهِ يُرَبِّي الوالدُ الوَلَدَا

نُصغي لأسرارِكَ العُظمى ونرصدُها

فهل تُحِسُّ بمَنْ أصغَى ومَنْ رَصَدَا؟!

ويا صخورًا قَرَأْنَا في ملامحِها

ملامحَ الأهلِ تاريخًا ومُستَنَدَا

هذي الجلاميدُ أسفارٌ مُكَدَّسَةٌ

تشتاقُ لو َلامَسَتْ عقلًا وليسَ يَدَا

نجولُ عَبْرَكَ في أغوارِ مكتبةٍ

من التراثِ، ولا ندري لها أَمَدَا

يقالُ: ما برحتْ بئرُ الحياةِ هنا

نَضَّاحَةً ما رَوَتْ من مائها أحدا!

يقالُ: إنَّ لها سِحرًا تَمَسُّ به

مَنْ ذاقَها فيعيشَ الخُلدَ والأبدا!

يا حارسَ البئرِ.. لا بئرٌ ولا حَرَسٌ

لكنَّهُ الوَهْمُ في أذهانِنا اتَّقَدَا

فانضحْ بعُذْرِكَ عُشَّاقَ السرابِ إذا

تَخَيَّلُوكَ مُقِيمًا تحرسُ الزَّبَدَا

لو أنَّ دَمْعِي شهيدٌ حين أَذرفُهُ

لم أُحْصِ ما ذَرَفَتْ عيني من الشُّهَدَا!

تَشَوَّفَتْ لكَ في نجوايَ خاطرةٌ

فأَشْعَلَتْني خيالًا زَيتُهُ نَفِدَا

أرى كهوفَكَ في نفسي فأدخلُها

لكي أضيءَ من الأعماقِ ما خَمَدَا

كأنَّما كلُّ كهفٍ فيكِ صومعةٌ

في النفسِ، تمنحُني الإيمانَ والرَّشَدَا

يا توأمَ الشمسِ قِدْمًا.. منذُ أنْ سَكَبَتْ

عليكَ أَوَّلَ ضوءٍ في المدى وُلِدَا!

ما زلتَ والفجرَ مغمورًا ببهجتِهِ

حتى تآخَيتُما نُورًا وسِحرَ ندى

تغفو على سِرِّكَ الصخريِّ مُلتَحِفًا

عُريَ الطبيعةِ.. بالمجهولِ مُحْتَشِدَا

وللفصولِ على سفحيكَ معركةٌ

شعواءُ تُفنِي عديدَ الوقتِ، والعُدَدَا

وأنتَ ساهٍ عن الغاراتِ متّكِئٌ

عليكَ، لا تشتكي بردًا ولا صَهَدَا

من طُولِ بالِكَ طالتْ منكَ شاهقةٌ

علياءُ تمتدُّ صبرًا.. ترتقي جَلَدَا!

إذا اختلسنا لكَ الرؤيا تَخَطّفَنَا

برقُ الشموخِ فعُدنا نشتكي الرّمَدا

تُعشي حقيقتُكَ الطّولى محاجرَنا

من فرط ما تخرقُ الآفاقَ مُتّقِدَا

هذي مراياكَ؛ تستجلي ضآلتَنا

فيها، وتجلوكَ من صَوّانِها أَسَدَا

هُـــنـــا جـــــذورُكَ تـــرســـو فـــــي جـوانـحِـنـا

مـــهـــمـــا جـبـيـنـُكَ فـــــي عـلـيـائـهِ ابـــتـعـدا

يـــــا عـاكـفًـا فـــــي رحـــــابِ الـغـيـبِ مـنـتـبـذًا

مـــــن الـــسـمـاواتِ وجـــهًـــا واحـــــدًا أحـــــدَا

تـــحـــنـــو الـــغـمـامـةُ إنْ حـــامـــتْ بـــقِـمّـَـتِـهِ

حـــتّـَـــى تـــلـــفّـَ عـــلـــيـــهِ الـــزنـــدَ والـــعـَضُـدَا

مـــا انـفـكّـَ يـغـرفُ مـــن جـــوفِ الـسحابِ لـهُ

مـــــاءَ الـــوضـــوءِ ويـُـحـيـي الـــوِردَ مـُـنـفـَـرِدا

لا زَعْـــزَعَـــتْـــهُ ريـــــــاحُ الـــشـــكّـِ عـــاديـــةً

ولا أصـــابـتـهُ فـــــي مـكـنـونِ مـــا اعـتـَقـَدَا

شـــيـخٌ عـــلـــى الأُفْـــقِ مـــا زالـــتْ عـمـامـتُـهُ

شـــمّـَـــاءَ، تـــسـبـحُ فـــــي مـعـراجِـهـا صُـــعـُـدَا

راسٍ؛ إذا اضـــطـــربـــتْ فـــيـــهِ هـــواجـــسُـهُ

صلّى بها، وعلى إيمانِهِ اسْتَنَدَا

يا ناسكًا في رحابِ الغيبِ منقطعًا

كأنّهُ يتلقّى من عُلاهُ نِدَا

بمِثْلِ صَمتِكَ هذا ما جَرَى نُسُكٌ

ولا الإلهُ بهذا العُمقِ ما عُبِدَا!

ماذا تلمّستَ في العلياءِ من خبرٍ

مّا هنالكَ من أسرارِنا خَلُدَا؟!

فنحنُ مِثلُكَ نُسّاكٌ نتوقُ إلى

وحيٍ يُحَرّرُ من أعماقِنا العُقَدا

ما زال يُرعِدُ صوتُ الغيبِ في دَمِنَا

ولم يزلْ دَمُنَا بالصوتِ مُرتَعِدَا

يا بيرقًا رَكَزَتْهُ في رُبى (هَجَرٍ)

يدُ الإلهِ، على الآفاقِ مُنعَقِدَا !

مُـــمَـوْسِـقًـا كـــــلّ َ ريـــــحٍ تـسـتـظـلّ ُ بـــــهِ

فـتـنـثـنـي عـــنـــهُ لـــحـــنًـا حـــالـمًـا غَـــــرِدَا

مـــــا هَـفْـهَـفَـتْ نـــسـمـةٌ إلا صـحـــا وَتَـــــرٌ

فـي الصخرِ، وانسلّ َ من طبعِ الحصى، وشَدَا

واجـتـاحَـنـا فـــــي نـــشـيـدٍ لا يـــغـيـبُ لـــــهُ

صـــوتٌ مـــن الـــروحِ إلّ َلا نـــابَ عـنـهُ صـــدَى

صـــخـــرٌ يُـــغَـــنّ ِيـ؛ ونُـــصـــغـي لا لـنَـفْـهَـمَـهُ

لـــكـــنْ لـــكـــي نـتـمـلّ َى نـــشـوةَ الـسّ ُعَـدَا!

وكـــلّ َـــمـــا عَـــصَـــفَـــتْ بـــالـلـحـنِ عـــاصـــفـةٌ

صـــــارَ الـنـشـيـدُ سـراجًـا هـــامـدًا بَـــــدَا

قـــالـتْ لـــنـــا (الـريـحُ)..و(الـقـنديلُ) مـنـطفئٌ

لـــن تُـوقِـدوا الـحـبّ َ حـتّ َى تُـطفِـئوا الـحسدا!